مراجعات عزلة

م. موفق بن محمد السنوسي

قصة قصيرة

م. موفق بن محمد السنوسي

مراجعات عُزلة

قصة قصيرة قمت بتأليفها خلال فترة العزل المنزلي الاحترازي.

تتحدث عن شخص قرر أن يتصل بداخله بعدما انقطع الاتصال بالعالم الخارجي نتيجةً لجائحة فيروس كورونا.

م. موفق بن محمد السنوسي

mmsanousi

تصميم الغلاف: مصطفى علوان

Mostafa_Olwany

مراجعات عزلة

قصة قصيرة

بقلم: م. موفق بن محمد السنوسي

www.twitter.com/mmsanousi

www.instagram.com/mmsanousi

www.facebook.com/mmsanousi

www.t.me/mmsanousi

البداية

بعد الأنباء المتوالية والمتسارعة على المواقع الإخبارية، ومواقع التواصل الاجتماعي بتفشي فايروس كورونا الجديد (كوفيد 19) على مستوى العالم وانتشاره كالنار في الهشيم وازدياد عدد المصابين به بشكل يبعث على القلق والفزع لا بل ويصل إلى الهلع. اقترحت زوجتي (مها) ترك مدينة الخبر والعودة إلى المدينة المنورة خلال هذه الفترة بحكم تواجد عائلتينا هنالك، وخوفها على والدها الطاعن في السّن الذي يعيش بمفرده منذ وفاة والدتها قبل عدة أعوام. إضافة إلى معاناته من اعتلالات صحية أدى إلى ازدياد قلقها عليه نتيجة ما تم تداوله عن شراسة الفايروس مع كبار السن بشكل مضاعف.

ألحّت مها عليَّ بمرافقتها في رحلتها خصوصًا وأن لنا فترة تجاوزت الثمانية أشهر ولم نرى فيها أسرتيْنا. أخبرتها بأنني لا أستطيع حاليًا مرافقتها لارتباطي بالعمل، ولا يُسمح لي بالعمل عن بعد، ووعدتها بالتحدث إلى مديري في هذا الشأن، أو بطلب إجازة اضطرارية واللحاق بها فور موافقته.

أوصلت مها إلى المطار وتأكدت من ركوبها للطائرة. كانت هذه هي المرة الأولى التي تبتعد فيها مها عني منذ زواجنا قبل سنتين؛ مما جعلني أشعر بغصّة فراقها، ولكني حاولت إقناع نفسي بأنها أيام وسنلتقي.

عدت بعدها إلى المنزل وكنت متعبًا جدًا فاستلقيت على أريكتي الزرقاء المريحة التي تتوسط غرفة المعيشة، وشرعت في التنقل بين القنوات الإخبارية طمعًا في سماع خبر إيجابي عن الفايروس الذي أشغل العالم. ثم طلبت عشاءً من أحد المطاعم وتناولته فور وصوله نظرًا لجوعي الشديد. استغرقت بعدها دون أن أشعر في نوم عميق ولم يوقظني إلا صوت المنبه في الصباح.

حاولت جاهدًا البحث عن الهاتف لإطفاء المنبه دون جدوى مما اضطرني إلى النهوض والبحث عنه متتبعًا صوته حتى وجدته أسفل الأريكة. أثناء توجهي لإغلاق التلفاز المزعج ومن ثم الاغتسال والوضوء لصلاة الفجر لمحت حينها خبرًا عاجلًا كُتب أسفل الشاشة باللون الأحمر: **إيقاف جميع الرحلات الداخلية في السعودية بشكل فوري وفرض حذر التجول الجزئي ابتداءً من بعد الغد.**

توقفت لوهلة أتأمل الشاشة وأنا في صدمة من الخبر. فلم أتوقع أن تصل الأمور إلى هذا الحد وتتسارع الأحداث بهذا القدر المفاجئ والدراماتيكي. اهتز الهاتف في يدي، وإذا برسالة نصية من مديري في العمل يخبرني فيها بعدم الحاجة لحضوري والاكتفاء بإنجاز المهام عن بعد. تمنيت لو أن هذه الرسالة وصلت قبل مغادرة مها، أو حتى قبل قرار إيقاف الرحلات الداخلية ولكن ما باليد حيلة.

صليت الفجر وتناولت إفطاري ثم قررت الذهاب إلى متجر قريب لشراء المواد الغذائية واحتياجات المنزل للفترة القادمة لصعوبة الرجوع إلى المدينة المنورة بسبب توقف الرحلات الداخلية وعدم قدرة سيارتي القديمة قصيرة النفس محدودة النفع على قطع المسافة إلى المدينة المنورة. وبالتالي استسلمت إلى فكرة قضاء فترة الحظر ومنع التجول كاملة وحيدًا في مدينة الخبر.

شرعت في الذهاب إلى المتجر مشيًا على قدمي وكان ينتابني قلق كبير جرّاء ما شاهدته من مقاطع على مواقع التواصل الاجتماعي عن حال المتاجر في دول العالم المختلفة التي أصحبت خاوية لا يملأ رفوفها سوى الفراغ بسبب ذعر البعض وجشع البعض الآخر. دون أن أنسى

مشاهد القتال في بعض الدول على المنظفات المنزلية والمطهرات والمعقمات وغيرها من المواد المختلفة التي لا يمكن الاستغناء عنها.

خطر ببالي أحد أصدقائي العرب أيام الابتعاث الذي لم تنقطع علاقتي به بالرغم من مشاغل الحياة وبعد المسافة، والذي أصبح مواطنًا للدولة الأوربية التي جمعتنا فيها الدراسة. اتصلت به بدافع الاطمئنان عليه وحبًّا في معرفة الوضع هناك. رد عليّ صديقي بصوت يعلوه الوجل وأخذنا في تبادل الأسئلة عن أحوالنا وقلت له عليك بالإكثار من المعكرونة؛ لرخص ثمنها ولأنه مدمن على تناولها فقال لي ساخرًا: المعكرونة أصبحت كلحمة العيد هنا! ولا وجود لها!

استوقفني ما ذكره وقلت له هل أنت جاد فيما تقول؟ فأقسم بأن الوضع لديهم مرعب وأن المتاجر الكبيرة تُعاني من شح منقطع النظير في أبسط المواد التموينية.

أنهينا المكالمة متمنين أن تنقشع هذه الغمة عن العالم. وقمت بالرجوع لأخذ سيارتي لشراء مواد تموينية أكثر فقد أثَّرت فيَّ محادثة صديقي لا سيما وأنّ الدولة التي يعيش فيها من الدول ذات الاقتصادات القوية.

وصلت إلى مركز التسوق وأخذت أتفرَّس في نواحي المركز ورفوفه ولكن سرعان ما تبددت الأفكار السلبية التي نمت في خيالي جرّاء أخبار الميديا وبعد محادثة صديقي حينما رأيت ولله الحمد حال المتجر كما اعتدت عليه بالرغم من كثرة المتسوقين، فالرفوف ممتلئة ومترعة بالخيرات التي ملأت جنباته **(وقفت لحظة في وسط المتجر أشكر الله على هذه النعمة التي لم أنتبه لها سابقًا).** أدركت أن هذا الشيء لم يكن وليد الصدفة إطلاقًا، بل نتيجةً لتخطيط واستعداد مسبق ومدروس من قبل الجهات المعنية في الدولة وحمدت الله كوني أنتمي لثرى هذا الوطن. قمت بشراء تموين يكفيني لأسبوعين وأخذت طريقي عائدًا لمنزلي حامدًا لله شاكرًا له على نعمه.

في طريق عودتي وأثناء وقوفي بإحدى إشارات المرور لمحت صيدلية عن يميني فتوقفت عندها وأنا أقول في نفسي يبدو أنني سأزور أكثر من صيدلية للحصول على المعقمات والكمامات والقفازات الطبية فلن أجدها جميعًا في صيدلية واحدة، دخلت الصيدلية فقلت للصيدلي مستفهمًا هل يوجد لديك كمامات؟ فقال نعم. فأردفته، وهل يوجد قفازات؟ فقال نعم؟ بنبرة فيها تعجب من السؤال، فقلت له وهل

لديك معقمات؟ فقال "نعم يوجد معقمات... أنت في السعودية يا باشا" فحمدت الله مرة ثانية واشتريت كل ما سألت عنه وعُدت أدراجي لبيتي والهدوء يملأ قلبي.

وصلت المنزل وقمت بوضع وترتيب الأغراض وأنا مُفعم بمشاعر الرضا، والراحة، والطمأنينة مستعدًا للفترة القادمة وللمكوث داخل المنزل لفترة طويلة دون أن أضطر للخروج منه. أنهيت ترتيب أغراضي وبدأت جولتي في المواقع الإخبارية بحثًا عن خبر يسُر دون جدوى. ثم قمت بالاتصال على مها والاطمئنان عليها وعلى صحة والدها. الحمد لله كانت سعيدة فأخبرتها بخلو مكانها واشتياقي لها وقلت لها محاولًا طمأنتها سأجتهد في إيجاد طريقة للسفر إلى المدينة المنورة وكنت أعلم في داخلي أنّ هذا الأمر صعب ولكني كنت كمن يُعلل نفسه بالآمال يرقبها. ذهبت لغرفة نومي مصطحبًا أحد كتب الإدارة الحديثة واستغرقت في قراءة الكتاب حتى قرأت ثلاثة أرباعه وغالبني النعاس فخلدت للنوم.

استيقظت في اليوم التالي وشرعت في إنهاء أعمالي عن بعد بعدما تناولت وجبة الإفطار، ولم يأت وقت صلاة الظهر إلا وقد انتهيت من

جميع الأعمال الموكلة إلي من قبل مديري **(في الحقيقة لم أعتد على ذلك مطلقًا)؛** لأنني في الغالب كنت أمكث في عملي حتى الساعة الرابعة عصرًا ولا أعود إلى المنزل إلا عند غروب الشمس. أيقنت وقتها أنه يجب عليّ فعل أمر ما يساعد على سد هذا الفراغ المقبل مهرولًا. وقد يكون ذلك نتيجة إدراكي المبكر أن الفراغ بتواجد الهدوء والصمت الذي كان يملأ أرجاء المنزل سيصبح وبشكل تدريجي ومع مرور الوقت مزعجًا وخانقًا. بالرغم من أنني كنت أتمنى في السابق أن أعيش في هدوء وسكون لكن كما قيل (يجب على المرء الحذر مما يتمناه).

قمت بإخراج جهاز ألعاب الفيديو الذي كنت أملكه، وكنت كالذي ينبش الأرض لإخراج كنز دفين. وفرحت جدًا عندما وجدته يعمل! قمت بشراء عدة ألعاب عبر الإنترنت، وكذلك الاشتراك في عدد من الشركات التي تبث برامج ومسلسلات عبر الإنترنت حتى يتسنى لي الاستمتاع بعزلتي التي لا أعرف متى ستنتهي.

بدأ حظر التجول الكامل وكنت أقضي الأيام الأولى منه بين العمل صباحًا على إنجاز أعمالي ومهامي، ومشاهدة المسلسلات والبرامج أو اللعب بمختلف الألعاب الإلكترونية من كرة القدم أو القتال وغيرها.

استمتعت في بداية عزلتي بنمط حياتي الجديد ولم أشعر بأي معاناة خصوصًا أني وفرت ولله الحمد كل ما أحتاج اليه. كنت منسجمًا لدرجة أني بدأت أشعر بأن الأوقات كانت تمضي بسرعة. بل تمنيت أن يستمر الحال كما هو حتى أستطيع إنهاء جميع الألعاب ومشاهدة مختلف المسلسلات والبرامج، الأمر الذي لم أستطع فعله في الأيام الماضية لضيق الوقت وكثرة الارتباطات ومسؤوليات وواجبات الحياة.

ولكن كما قيل: "دوام الحال من المحال". بدأ الملل يتسلل وينتشر في داخلي بتسارع ملحوظ وبدا لي أني لا أفعل شيء ذا قيمة طوال يومي عدا الساعات الأولى لبداية اليوم كونها التي أنجز فيها المهام المتعلقة بالعمل. إنّ تكرار ما أمارسه وأنهيه يوميًا جعلني أشعر بأني إن لم أراوح مكاني، كأني أجري في حلقة مفرغة.

وأثناء تصفحي لمواقع التواصل الاجتماعي، لفت انتباهي وشدني سؤال لم يتجاوز السطر، ولكنه استوقفني بشدة وأخذت بقراءته أكثر من مرة حتى قرأته بصوت مرتفع وأنا أقرأ وأوجهه لنفسي في ذات الوقت .... فعلًا: ماذا استفدت يا حسين من جلوسك في المنزل أثناء فترة حظر التجول؟ وقمت بكتابة السؤال بخط كبير في كراستي التي أكتب فيها

عادة قائمة مهامي. وأنا أردد في نفسي ما هو الشيء الذي استفدته حتى الآن؟ ما هي الاستفادة الحقيقة الملموسة التي حققتُها وشعرتُ بها أثناء عزلتي؟ ماذا أعددت للفترة التي تلي الحظر؟ هل سأكون بعد الحظر كما كنت قبله؟

قلت في نفسي سأنظر لفترة منع التجول كفرصة ذهبية يمكن استثمارها بشكل أفضل في جميع مجالات حياتي وأخذت أكرر ذلك. إيمانًا مني بأن العقل اللاواعي لدى الشخص أشبه بالطفل الذي يمكن التأثير عليه بسهولة؛ ولهذا كنت حريصًا جدًا على إقناع نفسي على اعتبار هذه الفترة كمنحة قُدِّمت لي للاستفادة منها بكل شكل ممكن ومُتاح.

ذهبت إلى المطبخ وقمت بإعداد كوب من القهوة حتى أستعيد نشاطي وطاقتي. لم أرغب في أن ينتهي اليوم إلا وقد قمت بتحديد ما سأفعله في الأيام المتبقية في فترة منع التجوال. إضافة الى ذلك أدركت أنه يجب عليّ الاستفادة من طاقة الحماس المتقدة فيَّ وأنا استحضر قول الشاعر إذا هبَّت رياحك فاغتنمها.

بعد أخذي لعدة رشفات من كوب القهوة، أمسكت بهاتفي. بينما كنت أتنقل بين مواقع التواصل الاجتماعي لمعت ببالي فكرة شعرت بأنها ستساعدني على رسم ملامح فترة العزلة القادمة.

تمحورت الفكرة حول مراجعتي وتقييمي لسبع علاقات مختلفة الأثر والتأثير والآصرة. وبهذه الطريقة أكون قد استثمرت فترة حظر التجوال والعزلة بأفضل صورة ممكنة وبفائدة يمكن لي الإحساس بها على المدى القريب والبعيد.

كان سبب اختياري للرقم سبعة هو شعوري أنّ هذا الرقم له دلالات ومؤشرات لا تنتهي ولا تنفد سواء في الدين أو بشكل عام.... فشهادة التوحيد تتكون من سبع كلمات، وسورة الفاتحة تتكون من سبع آيات، وأشواط الطواف والسعي سبعة، والأمر بالصلاة يكون عند سبع سنين، وعدد الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله سبعة، والسماوات سبع كما ورد في القرآن الكريم، ورمي الجمرات يكون بسبعة أحجار.

أما عن الرقم سبعة في العموم فحدِّث ولا حرج فأيام الأسبوع سبعة، والقارات سبعة، والبحار سبعة، والجنين لا يكتمل في بطن أمه إلا بعد

سبعة أشهر، وعدد عظام الرأس عند الإنسان سبعة، وفقرات الرقبة سبعة سواء في الإنسان أو الخفاش -الذي تسبب في جائحة كورونا على حسب زعمهم-وألوان الطيف سبعة، والمقامات الموسيقية سبعة، والمعلقات الشعرية سبعة.

فنويت أن يكون هذا الرقم فاتحة خير في حياتي وبداية سعي لعلاقات أكثر عمقًا وثراءً. كما أنني رغبت في تحديد رقم حتى أقيس مدى تقدمي وتطوري في هذه العلاقات بالإضافة إلى صنع تحدي بيني وبين نفسي بحيث يتوجب عليّ إنجاز المراجعات قبل انتهاء فترة حظر التجوال.
قررت أن تكون مراجعة العلاقات وتقييمها عبر التعريف بالعلاقة وبماهيتها وكنهها، ومن ثم تأمل ما حدث فيها وما ترتب عليها من مشاعر ومواقف ونقلات نوعية. وبذلك أعتقد أني سأساعد نفسي على ترتيب أفكاري دون تشتت أو عشوائية.

العلاقة الأولى

"من يبحث عن صديق لا عيب فيه سيبقى دون صديق"

مثل شعبي

استيقظت في الصباح الباكر، وكان يعتريني شعور جميل لا سيما وأنه أصبح لدي شيء أو ربما مشروع أعمل عليه يُثري وقتي. مستحضرًا أنّ النفس إذا لم تشغلها بما يفيد، شغلتك بما لا يفيد. أنهيت كافة الأعمال والمهام التي كانت موكلة إليّ. ومن ثم أعددت كوبًا كبيرًا من القهوة تذوقته فأحسسته مختلفًا عن سابق الأيام. بدأت بأول علاقة كنت قد حددتها مسبقًا منذ أن خطرت في بالي كلمة الاستثمار (استثمار الوقت). كانت تلك العلاقة هي علاقتي مع راكان والذي كان في يوم من الأيام من أقرب الأصدقاء إليَّ ولكن للأسف لم يعد كذلك. بل أني لم أعد أتخيل كيف كنت أعتبره صديقًا لي في يوم من الأيام. وهذا الأمر جعلني أتساءل ما الذي حدث بيننا حتى ينقلب القرب إلى بعد، والحب إلى بغض، والأخوة إلى عداوة؟

تعرفت على راكان في العام الأول لي بعد التخرج. وذلك عند خروجي في يوم من الأيام مع أحد أصدقاء الجامعة للعشاء وكان راكان وقتها

بصحبة صديقي. وكان شخصًا لطيفًا مرحًا خفيف الظل. منذ تلك اللحظة أستطيع القول إن أرواحنا قد تلاقت. وعزَّز من علاقتنا لقائي به في عدة مناسبات، وهذا الأمر وطَّد علاقتي به لا سيَّما وأنّ الصديق الذي عرفني به انتقل للعمل في مدينة الرياض، بينما كان عملي وعمل راكان في مدينة الخبر. ومع الأيام أصبحنا صديقَيْن مقربيْن نلتقي عدة مرات في الأسبوع وخصوصًا أن كلانا لم يكن متزوجًا وقتها. بعد مرور عام ونصف تقريبًا، اقترح راكان أن نستثمر في مشروع تجاري خاص بنا ونستغل فكرة أننا نملك الوقت والجهد وكذلك مبلغ من المال بحكم عدم وجود التزامات مالية علينا. وطبعًا راقت لي الفكرة وأُعجبتُ بها وبحماسة.

اتفقنا على إنشاء حساب على منصة الإنستغرام لبيع الملابس النسائية مع استئجار مكان خاص لتخزين البضائع بحيث يتنسى لنا إيصال البضائع في أسرع وقت في حال وصول الطلبات.

أذكر أنّ سبب اختيار فئة ملابس النساء هو أن لدى راكان 8 أخوات وكنّ جميعهنّ بحسب كلامه من المهتمات بالموضة والملابس النسائية وذلك سيسهل علينا اختيار البضائع التي تلفت انتباه

المشترين. إضافة الى أنّ عملية تسويق الحساب ونشره بين الفتيات أكثر سهولة خصوصًا أن 3 من أخواته يدرسْن في الجامعة ويختلطْن بعدد كبير من الفتيات بشكل شبه يومي.

كان كل شيء يبدو جاهزًا ومُعد بشكل جيد، وجميع المهام مُقسَّمة بيننا ومحددة بشكل يتناسب مع قدرات كل منّا وإمكانياته. تم استئجار المكان وشراء بضاعة متنوعة ومختلفة وكذلك إنشاء الحساب على منصة الإنستغرام وتصوير البضائع التي سيتم عرضها.

لم يصلنا أيِّ طلب في الأسبوع الأول من انطلاق المتجر، لدرجة أنني طلبت من راكان أن نُتيح استقبال الطلبات عبر رقم الهاتف الخاص وليس فقط الرسائل التي نستقبلها في الموقع حتى يكون هنالك عدة خيارات تُسهِّل عملية الوصول والتواصل معنا. وأيضًا طلب مني راكان دفع مبلغ إضافي من أجل الإعلان عن المتجر عبر أحد المشاهير كتسويق للمتجر على أن تتم استعادة هذا المبلغ من أرباح المبيعات بشكل مباشر. وبالفعل قمت بذلك ودفعت ولعدة مرات خلال الأشهر الثلاثة الأولى من أجل الإعلان.

كان مجموع الطلبات في الأسبوع لا يتجاوز عدد أيامه. مرت الأيام والأسابيع واقترب موعد الدفعة الثانية من إيجار المستودع الذي كان مُكتظًا بالبضائع. أتذكر يومها أني اجتمعت مع راكان في منزلي لمناقشة الوضع ومعرفة ما الذي يمكننا فعله في قيمة الدفعة الثانية من الإيجار.

كان نقاشًا حادًا وأقرب منه للجدال. فراكان يتهمني بالتقصير والسبب في دخولنا بهذه الأزمة وأنا ألقي اللوم عليه وعلى غياب دور التسويق الذي يُفترض أن يتكفل به عبر أخواته وعلاقاتهم. استمر الاجتماع لساعات طويلة دون أي فائدة وشعرت وقتها بالإنهاك والتعب مما دعاني إلى إخباره أن الوقت قد تأخر وأني أريد النوم. هنا انفجر غاضبًا وأخبرني أن شراكتنا وعلاقتنا انتهت وأنه سيتحدث مع صاحب المحل بخصوص إلغاء عقد الإيجار وإيجاد مستأجر أخر يأخذ المستودع ويتحمل الدفعة الثانية وبهذا يُعتبر الأمر كما قال: **" الوجه من الوجه أبيض"!**

الآن وبعد مراجعتي لشريط الأحداث وتذكري لها، يجب عليَّ الاعتراف أنّ كلانا أخطأ في حق الآخر في هذه العلاقة والشراكة. وأنه لم يكن من اللائق أن تنتهي بتلك الطريقة السيئة ويكون ذلك اللقاء آخر فصل

فيها. كان الأجدر في بداية الأمر دراسة المشروع بشكل جيد وتوثيق اتفاقنا في عقد نستطيع الرجوع إليه في حالة وجود أي خلاف أو خلل. وأحسست بحالته الشعورية وقت نقاشنا البيزنطي ووجدت أنّ غضبه كان مبررًا حينما قلت له أني أُريد النوم بطريقة قد يُفهم منها أني قد قمت بطرده من منزلي بالرغم من أنني لم أقصد ذلك أبدًا ولكن كان لزامًا عليَّ أن أختار عباراتي بعناية خصوصًا في تلك المرحلة من النقاش. ألم يكن من الأفضل تحديد وقت آخر لمناقشة الأمر؟ وأن يكون كلانا في حالة ذهنية وجسدية أفضل؟ لقد أفقدتنا الخسائر صداقتنا التي لا يعدلها أيّ مال وتذكرت قول الشاعر:

أخاكَ أخاكَ فإن من لا أخًا له

كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاحِ

أهم ما يمكن الاستفادة منه في تلك العلاقة هو أهمية الوضوح وعدم ترك مجال للاعتقادات والتفسيرات المختلفة خصوصًا إذا كان الأمر يتعلق بعمل أو شراكة بين طرفين، وأيقنت أنّ كل مشكلة بين شريكين أساسها اتفاق غير مُحكم ونحن لم نُحكم اتفاقنا.

أمسكت بهاتفي وقمت بإرسال رسالة نصية لطيفة إلى راكان سلَّمت فيها عليه وسألته عن أحوال والديْه وعن عمله في هذه الفترة الصعبة

مُظهرًا له رغبتي في لقائه فما كان من راكان إلا أن رد عليّ برسالة ألطف من رسالتي وكأنه يقول لي: مضى زمن طويل يا صديقي.

فرحت كثيرًا برده السريع وأحسست بأن رسالتي بدأت في رأب الصدع الذي ما كان له أن يكون بيننا. وعزمت بإذن الله بعد انتهاء فترة الحظر، على دعوته لتناول وجبة عشاء في أحد المطاعم القريبة منه والتي كنا نرتادها.

العلاقة الثانية

"دوام الحب في مراعاة الأدب"

فكتور هوغو

أثناء تأدية بعض المهام المتعلقة بالعمل على جهازي المحمول، وصلت رسالة على تطبيق الواتس آب في مجموعة عائلتي الكبيرة. كانت الرسالة من ابن عمي ناصر يخبرنا فيها بوفاة عمي سالم -رحمه الله-اتصلت فورًا عليه لأقدم التعازي وأعتذر عن الحضور بسبب ظروف منع التجوال. كانت تلك المرة الأولى من أعوام كثيرة أسمع فيها صوته. شكرني على الاتصال وأخبرني أنه مُتفهِّم سبب عدم الحضور نتيجة الظروف الطارئة التي تسببت فيها جائحة كورونا وأنه لن يقيم عزاء لوالده منعًا للتجمعات وأنّ دعائنا له بالرحمة والمغفرة هو أكثر ما يحتاجه الآن. أكدْتّ على كلامه وأخبرته أنّ العم سالم -رحمه الله- كان والدًا لنا جميعًا.

بعد ما أغلقت الهاتف، فكرت في أن العلاقة الثانية يجب أن تكون علاقتي مع ناصر. كيف يُعقل أني لم أتحدث مع ابن عمي منذ أعوام بل

أني وجدت صعوبة في تمييز صوته وهو كان في مثابة أخي. فناصر صديق ورفيق الطفولة ومرحلة المراهقة وزميل الدراسة الجامعية.

كثير من العقبات التي وقَعْتُ فيها أيام المرحلة الثانوية لم ينقذني منها سوى ناصر بالرغم أنّ بعضها كانت بسببه ولكن في الأخير كانت الأمور تنتهي بسلام. بل أذكر أنه في أحد المرات أخذ مفتاح سيارة عمي سالم وأتى بها إليَّ حتى يعلمني القيادة كونه أكبر مني بعامين ولكن للأسف تسببت بحادث مما أدى إلى إتلاف مقدمة السيارة.

أتذكر خوفي وقتها خصوصًا أن عمي سالم -رحمه الله-كان شديدًا وقاسيًا واللغة المُفضَّلة لديه هي لغة الضرب والعقاب. ولكن ناصر الشجاع وقتها قال لا تقلق سأخبر أبي أنّ أمي أرسلتني لشراء الخبز من المتجر المجاور وأني ارتطمت ببرميل القمامة الذي وضعه أحد ما في منتصف الطريق.

كانت علاقتنا تقوى وتكبر وتزداد عمقًا مع الزمن خاصةً بعد دراستنا في ذات الجامعة وبالتالي أصبحت لقاءاتنا لا تقتصر فقط على أيام العطلة الأسبوعية ولكن على مدار الأسبوع.

في منتصف المرحلة الجامعية تقريبًا، لاحظت على ناصر التهرب مني وعدم رغبته في حضوري لبعض اللقاءات مع أصدقاء مشتركين. لم يفعل ذلك بطريقة مباشرة، ولكن كان يعتذر كثيرًا عن الخروج معي بسبب مشاغل متعلقة بالدراسة. لم أكن مقتنعًا تمامًا بذلك، فهل من المعقول أن تظهر كل هذه الالتزامات والمسؤوليات لديه فجأة وهي لم تكن موجودة طوال السنين الماضية. كان الأمر يزعجني ويحزنني في نفس الوقت.

اتصل عليَّ في يوم من الأيام صديق لكلينا وأكدَّ لي بأن لا أنسى موضوع الاستراحة. فأخبرته أني لا أعرف شيء عن هذا الأمر، فقال لي: "كيف لا تعرف وابن عمك هو من رتَّب ونسَّق كل شيء"؟

فقلت له أعلم ولكن كنت أمزح معك، وأني لا أستطيع الحضور بسبب ارتباطي بموعد. أغلقت السماعة فورًا وانطلقت إلى منزل ناصر وأنا أكاد أنفجر غضبًا.

فتح الباب لي ودعاني للدخول، فرفضت وأخبرته أني علمت بلقاء الاستراحة وأني لم أتوقع منه هذا التصرُّف البتة. اعتذر مني وأخبرني أنه نسيَ إخباري وأنني لا أحتاج إلى دعوة للحضور فأنا ابن عمّه.
فقلت له: "من أخبرك أني أصلًا أرغب في الحضور أو رؤيتك مرة أخرى، أنا هنا فقط حتى أقول لك كن شجاعًا وأخبرني أنك لا تريد تواجدي من غير كذب وتدليس". ثم عدت إلى المنزل.

كان رد فعلي مبالغًا فيه بشكل مُفرط في ذلك الوقت، والأمر كله لا يستحق قطع علاقتي بابن عمي. وقمت بتجاهله ما تبقى من المرحلة الجامعية وما بعدها. ولأكون منصفًا ناصر كان الابن الأكبر ولم يكن لديهم سائق في المنزل فمن الطبيعي أن تزيد عليه المسؤوليات مع تقدمه في العمر. وأعتقد أن المشكلة كانت في أنني كنت ملاصقًا له ولم أحترم خصوصية حياته التي كنت أنتهك كل تفاصيلها. والآن وبهذا العمر أدرك مدى الإزعاج الذي يسببه هذا الأمر حتى لو كان من شريك حياتك، فكيف إذا كان من صديق أو قريب؟

هنا أذكر مقولة الدكتور مصطفى محمود -رحمه الله-حينما قال:

"حفظ المسافة في العلاقات الإنسانية مثل حفظ المسافة بين العربات أثناء السير فهي الوقاية الضرورية من المصادمات المُهلكة."

قمت بالاتصال عليه مرة أخرى والحديث معه في محاولة تصبيره على مصابه وإخباره أني ابن عمه وأخوه ورهن إشارته وأسعد بخدمته في كل ما يريد، وأني سأكون أول الحاضرين إلى منزله بعد زوال الظروف القاهرة. قد كانت لدي رغبة لفعل المزيد له، ولكن خشيت أني أُعيد نفس الخطأ الأول؛ لأني فهمت الآن أنّ دوام العلاقات مرهون باحترام الخصوصيات.

العلاقة الثالثة والرابعة

"قد لا تعطينا الحياة كل شيء، لكن القناعة تجعلنا نشعر بالرضا عن كل شيء"

بيل كوسبي

بينما كنت أفكر في العلاقة الثالثة التي أود مراجعتها وصلتني رسالة من زوجتي (مها) وكانت تخبرني فيها أنها اشتاقت إلي.

تبًا...

لقد تنبهت أنني لم أتواصل معها بانتظام وبالشكل الذي يجب منذ بداية الحجر المنزلي. أعترف أننا كنا نتحدث لفترة قصيرة شبه يوميًا ثم يحدث ما يجبرنا على إنهاء الاتصال (كنداء والدها لها أو ورود اتصال من عملي غالبًا). مما دعاني إلى الاتصال عليها مباشرة.

أنا: "مساء الخير... مها... كيف حالك وكيف حال عمي؟"

مها: "الحمد لله بخير ونعمة، وحشتني يا حبيبي؟"

أنا: "هل أيقظتك من النوم؟"

مها: "لا، لا، فأنا في المطبخ أقوم بإعداد الغداء."

أنا: "الله يعطيكِ الصحة، في الحقيقة لا أريد شيء فقط أردت الاطمئنان عليكِ؛ لأنني كنت مشغولًا عنك في الأيام الماضية وخصوصًا أننا لم نتحدث بشكل كافي...

المعذرة يا حبيبتي، ولكن هنالك الكثير من المهام المتعلقة بعملي وكذلك وفاة عمي سالم أثرت فيَّ قليلًا"

مها: "عظم الله أجركم ورحم الله ميتكم وأدخله فسيح جنانه."

أنا: " اللهم آمين، جزاك الله خيرًا، إن شاء الله أمورك كلها تمام؟"

مها: الحمد لله حبيبي لا ينقصني سوى " شوفتك".

أغلقت الهاتف وأنا أشعر ببعض التأنيب؛ لأني أعلم أنّ حقيقة ما قلته لمها لا يبرر عدم سؤالي عنها أو التواصل معها لعدة أيام. لعل علاقتي بزوجتي يجب أن تكون العلاقة الثالثة التي يجب مراجعتها؛ لأن الأمر لا يبدو طبيعيًا، أنا اشعر أنّ علاقتنا علاقة باردة لا تحتوي على القدر الكافي من المشاعر التي يلزم أن تكون بين زوجين فلم يمضِ على زواجنا أكثر من عامين. وليقيني بأنها تحاول بشتى الطرق إظهار مشاعر حبها لي بمختلف الطرق.

لكن لماذا؟

لماذا لا أشعر بمشاعر حب وشوق تجاهها بالقدر الذي تغمرني به؟

لماذا وهي تحرص دائمًا على راحتي في مختلف التفاصيل.

امم... لعل علاقتي مع زوجتي يجب أن تكون العلاقة الرابعة التي يجب علي مراجعتها وليس الثالثة، فالعلاقة الثلاثة يجب أن تكون عن العلاقة مع (سارة) والتي أعتقد أنها ما زالت موجودة في حياتي بالرغم من مغادرتها لها.

كانت بداية القصة مع سارة قبل زواجي من مها، حيث تعرفت عليها في أحد معارض الفن التشكيلي التي كنت مولعًا بها. أُعجبت بها كثيرًا وكان هذا الشيء متبادلًا، تطورت العلاقة بيننا مما دعاني إلى خطبتها والزواج منها في فترة وجيزة.

أصبحت عاشقًا لها وخصوصًا أنه في فترة الخطوبة أدركت أنّ هنالك الكثير من القواسم المشتركة بيننا. فأنا وهي من عشاق الفن التشكيلي ومن مُحبي مشاهدة الأفلام والمسلسلات بل أنها كانت تحب حتى مشاهدة كرة القدم ومشجعة لريال مدريد فريقي المفضل.

أتذكر في أول أيام زواجنا وخلال شهر العسل كنا نقضي ساعات طوال في الحديث والضحك دون أي ملل أو كلل. فقد كنت أعود من العمل بشوق كبير لإمضاء بقية اليوم معها، وهذا الذي لم يحدث حاليًا مع

زوجتي مها؛ لا بل وأحرص على إمضاء أطول وقت ممكن خارج المنزل تفاديًا لإكثار الجلوس معها.

شعرت أنني أحتاج إلى التفكير بعمق أكبر، لماذا لم أكمل مع سارة ولم تعد زوجتي؟

تذكرت أن هاتفي القديم ما زال بحوزتي وكان يحتوي على محادثاتي مع سارة. بحثت عنه حتى وجدته في صندوق المحفوظات الإلكترونية.

قمت بتشغيل الهاتف والذهاب إلى المحادثات والنظر إليها. صعدت إلى أعلى المحادثات والتي كانت في بداية علاقتنا وفعلًا وجدت فيها الكثير من المشاعر التي ما زالت تجول في خاطري ما بين الفينة والأخرى. إهداءات الأغاني وكلمات الشعر والغزل والمزاح وكل شيء. في الحقيقة كنت أتبسم وأنا اقرأ تلك المحادثات بيننا حتى وصلت إلى أجزاء معينة من المحادثات ولم أشعر إلا بتقطُّب حاجبيَّ!

كانت تلك الأجزاء وعلى أغلب الظن بعد عدة أشهر من زواجنا، وكنت في أحد تلك الأجزاء من المحادثة مستاء بسبب عدم وجود ملابس

نظيفة في خزانة الملابس مما داعني إلى الذهاب إلى عملي بملابس اليوم السابق وأنّ هذا الأمر لم يعد يطاق؛ لأنه تكرر مرات عدة. خصوصًا أني كنت وما زلت أساهم في الأعمال المنزلية إيمانًا مني بأن الحياة الزوجية تُبنى على هذا النوع من التعاون والتشارك بين الزوجين وليس أحدهما فقط دون الآخر!

وفي محادثة أُخرى أُخبرها فيها أنّ البنك قام بإيقاف بطاقة الصراف الخاصة بي وتواصل معي بسبب مجاوزة قيمة المشتريات الحد المتاح للاستخدام، وهي تجيب دون أيِّ مُبالاة أو اكتراث بأنّ أحد تخفيضات المتاجر الإلكترونية كانت مغرية ولا يمكن تفويتها... تذكرت هوسها بالتسوق والشراء دون أيِّ تقدير لالتزاماتي المادية كوني كنت أجتهد في جمع المال لشراء شقة بمدينة الخبر.

مررت بجزء آخر لمحادثات كنا نتشاجر فيها بسبب تكرار خروجها مع صديقاتها بشكل شبه يومي وعدم وجود وقت نقضيه معًا.

توقفت عن قراءة المحادثات التي كانت بمثابة ماء سُكب عليّ حتى أستيقظ من الأحلام والأوهام التي كنت أعيش فيها. سارة لم تكن

شريكة حياة أبدًا ولم تكن علاقتنا أحد أولوياتها. شتان ما بينها وبين مها، التي لا تجمعني بها الكثير من الأمور المشتركة التي كانت تجمعني بسارة ولكنها شريكة حياة حقيقة؛ لأني أشعر أني الأولوية الأولى في حياتها.

كيف لي أن أجعل الكماليات أهم من الضروريات؟ كيف لي أن أُقارن إنسانة تحرص على إدخال السرور إلى قلبي كلما سنحت لها الفرصة بإنسانة لا تسعى إلا إلى سعادتها الشخصية في المقام الأول، فسعادتها وراحتها مقدمة على كل شيء. سارة مرحلة في حياتي كان عليّ المرور بها حتى أعرف ما هي الركائز التي تُقيَّم في شريكة الحياة.

حسنًا سأتوقف عن المقارنات الحمقاء التي كانت لا تغادر تفكيري وأقوم بالتركيز أكثر على إحياء العلاقة التي تجمعني بزوجتي وشريكة حياتي. وبدأت أسترجع المواقف التي كانت مها فيها تسعى جاهدة لإسعادي. وعقدت العزم على البحث جاهدًا عن إيجاد نقاط مشتركة أكثر بيننا واستحداث نقاط جديدة تجعلنا نمضي أوقاتًا أكثر مع بعضنا البعض، وأن أحاول أن أكون صريحًا معها في بعض الأمور وأن أطلب منها أن تكون صريحة معي كذلك سعيًا للعيش في انسجام وتناغم دائم.

قبل أن أهجع لفراشي، أمسكت الهاتف وأخذت اكتب إلى مها: "أستطيع تحمل فترة منع التجول والحجر المنزلي لعدة أشهر ولكن لا أستطيع تحمل غيابك عني. فالبيت أصبح موحشًا من دونك والزمن توقف بعدك. فقلبي لم يعد ينبض كما كان وعقلي لا يفكر إلا فيك. أحبك يا زوجتي"

لم تمضي دقائق حتى أتت رسالة منها تقول فيها: "سلامة قلبك وعقلك يا زوجي العزيز وسندي بعد الله بإذن الله فترة وتمضي وأعدك أني لن أتركك ثانيةً مهما حصل. أحبك "

العلاقة الخامسة

"الرداء لا يصنع الراهب"

مثل لاتيني

أثناء أحد الاجتماعات المتعلقة بالعمل التي كانت تُعقد عن بعد، انضمّت إلى الاجتماع إدارة أخرى كان يمثلها رامي. خلال مدة الاجتماع لم يكن يشغل بالي سوى الذي حدث بيني وبينه والحرب التي بدأت كحرب باردة وانتهت نهاية مأساوية محاولًا التركيز في الاجتماع أيضًا.

رامي كان أحد الموظفين الذين انضموا للشركة في نفس فترة انضمامي لها. كنا زملاء عمل وكنا نتشارك نفس المكتب مع المهندس عادل وهو أقدم منا وكان بمثابة المُشرف علينا. كان كلانا يحرص على أن يثبت نفسه وخصوصًا أننا كنا حديثي التخرج وتملؤنا طاقة كبيرة من الحماس. علمت لاحقًا من مشرفي أن مديرنا المباشر أحد أقرباء رامي. منذ تلك اللحظة التي عرفت فيها بهذا الأمر أصبحت أراقب الطريقة التي يُعامل بها رامي من قِبَل مديرنا سواء أكان ذلك خلال الاجتماعات الداخلية التي تُقام في إدارتنا أو الاجتماعات الخارجية مع إدارات الشركة المختلفة. وفعلًا كنت أُلاحظ حرص المدير على جعل رامي يمثل إدارتنا في

الاجتماعات الخارجية. بل حتى التقارير التي كنت أُعد أغلب أجزاءها، كان رامي هو الذي يقوم بتقديمها أمام المدراء في الشركة.

كنت أُحاول أن أتجاهل هذا الأمر ولا أفكر فيه كثيرًا، وفضلت التركيز على إتقان عملي وتقديم اقتراحات جديدة تُساعد في تقليص مصروفات الإدارة. ولا أنكر أني كنت ألاقي شكرًا وتقديرًا ولكن ليس بالقدر الذي يوازي المجهودات التي أبذلها.

كان هذا الأمر يسبب لي الضيق ويجعلني أشعر بغضب شديد جرّاء عدم العدالة في المعاملة. أصبحت باردًا تجاه كل شيء يتعلق بالعمل، بل حتى كنت أفكر كثيرًا في تركه والبحث عن عمل آخر يقدرني ويقدر إنجازاتي والمجهودات التي أقوم بها.

في أحد الأيام، خطر في بالي فكرة قد تكشف حقيقة ما يحدث في إدارتنا أمام الإدارات الأخرى. حيث أني اتصلت في الصباح على مُشرفي وأخبرته أنني لا أستطيع الحضور باكرًا بسبب شعوري ببعض الألم والإرهاق. كانت الخطة أن أتغيب عن العمل عدة أيام مما يضطر رامي إلى إعداد التقارير والتي أجزمت حينها أنه يجهل جزءًا كبيرًا في كيفية إعدادها وعرض حقائقها وأرقامها. والهدف من ذلك تعمُّد إحراجه أمام

مدراء الإدارات أثناء الاجتماع الخارجي، وخصوصًا أن تلك الاجتماعات تشمل بعض الأسئلة التي لا يستطيع الإجابة عليها إلا شخص سبق له إعداد هذه التقارير عدة مرات.

فعلًا نجحت الخطة وكان موقف رامي ومديرنا المباشر محرجًا جدًا في الاجتماع. هذا ما أخبرني به مشرفنا المهندس عادل الذي كانت تملأ وجهه السعادة. بل وقال لي بالحرف الواحد: "سبحان الله، ربك ما يضيع جهد أحد والحق ما يضيع". كانت تلك المرة الأولى التي أشعر فيها بنشوة الانتصار.

منذ تلك الحادثة، أصبح رامي يسألني عن تفاصيل إعداد التقارير حتى لا يحدث ما حدث، ولكنني كنت أحاول صده بحجة انه أصبح يُكثر الأسئلة عليَّ وأنه يعطلني عن أداء عملي.

استمر الحال على ما هو عليه حتى أتى موعد التقييم السنوي للموظفين. علمت وقتها من مشرفنا المهندس عادل أن رامي حصل على تقييم أعلى مني وأنه غير مقتنع بهذا الأمر ولكن ما باليد حيلة فالتقييم يحدده المدير المباشر.

ذهبت مباشرة إلى المدير وأنا في قمة الغضب، وأخبرته أن يتقي الله فينا ويكف عن هذه المحاباة لقريبه. أظهر المدير استغرابه مما أقوله مما زاد غضبي. فخرجت من غرفته بعد ما أغلقت الباب بشدة. انطلقت إلى استراحة القهوة التي كان يجتمع فيها موظفي الإدارة، وكان هنالك رامي والأستاذ عادل وبعض الموظفين الآخرين.

قمت بإعداد كوب قهوة والنظر إلى أستاذ عادل وسؤاله عن حاله، ومن ثم بدأت بالحديث عن المحسوبية والتي نعاني منها في عالمنا العربي والتي هي السبب الرئيس في تأخرنا عن دول العالم الأول. وأثناء حديثي كنت أوزع النظرات بين الأستاذ عادل ورامي بشكل يظهر فيه أني أعني رامي. عرف أنني أقصده مما دعاه لمقاطعة حديثي بقوله: "ولكن للأمانة نحن هنا لا نعاني من هذا الأمر". فنظرت له واجبته بأسلوب ساخر:

"رامي أنت آخر شخص يتحدث عن هذه النقطة".

رامي: "ولماذا؟"

أنا: "الجميع يعرف القرابة التي تربطك بمديرنا"

رامي: "نعم، وما الخلل في ذلك؟"

أنا: "لا شيء، سوى أنك لست مضطرًا للعمل وبذل مجهود كبير كما نفعل نحن."

فرد رامي بصوت عالي: "ماذا تقصد بذلك، كن رجلًا وأخبرني"

فأجبته وأنا أكاد أنقّض عليه: "أنا أرجل منك ومن مديرك."
تدخل المهندس عادل وبقية الموظفين لتهدئتنا ومنعنا من الاشتباك بالأيادي.

في اليوم التالي، ذهبت إلى المدير وأخبرته عن رغبتي بالنقل إلى إدارة وأخرى وأنني لا أريد العمل في هذه الإدارة وخصوصًا أن هنالك نقص في بعض الإدارات. وافق المدير على طلبي وأخبرني انه مع بداية الشهر القادم سيتم نقلي.

الجدير بالذكر، أنني علمت بعدها بفترة أن مشرفي المهندس عادل كانت بينه وبين المدير مشاكل كثيرة، وأنه زجّ بي وجعلني أخوض معركة لا ناقة لي فيها ولا جمل واستخدمني وأصبحت أُراجع كلماته التحريضية اللئيمة على رامي وعلى المدير. بل جعلني أتخيل كل تلك الأمور وأتوهم المظلومية والقهر. لعلي خُدعت بالشيب الذي كان يكسو أجزاء من لحيته وملامح وجهه التي كانت تتسم بالبراءة. وأخذت أراجع نفسي وأتجرَّد في حُكمي على رامي فوجدت أني بالغت كثيرًا وظلمته أحيانًا؛ لأني كنت أنظر إليه بنظرة المنتقد ومتصيد الأخطاء.

دفعني التفكير في الأمر إلى إرسال رسالة إلكترونية إلى رامي بعد نهاية الاجتماع كبادرة لطيفة مني أخبرته فيها أن النقاط التي تطرق لها أثناء الاجتماع كانت قيّمة وهامة وأني اشكره على طرحه المتميز وتفاعله الإيجابي معنا جميعًا. مُضمرًا في داخلي بعد انقشاع الجائحة بالذهاب لمكتبه وإصلاح الأوضاع بيننا بشكل أكبر.

العلاقة السادسة

"ابتَعد عن مَن تكرَه، لا تّجامل كذبًا، وَلا تُوافق خجَلًا، لم يمنَحك الله هَذه النَّفس لتعذّبها"

محمد متولي الشعراوي

في صباح يوم الجمعة قمت بشكل لا إرادي وكالمعتاد بتشغيل الكمبيوتر المحمول حتى أبدا العمل، ولكن تذكرت أنّ اليوم إجازة وأنّ ظروف منع التجوال والحظر المنزلي جعلت التفريق بين الأيام أمر صعب. وفي تلك الأثناء، قمت بفتح ملف خاص بصوري التي كنت أحب جمعها على الجهاز حتى لا تضيع.

كنت أنظر إلى صوري في مراحل مختلفة من حياتي. حقًا كان شعور غريب ينتابني؛ لأنني كنت أشعر أن ذلك الشخص الموجود في تلك الصور لم يعد يمثلني. وهذا الأمر جعلني أُحدد العلاقة السادسة التي يجب عليَّ مراجعتها. وهي علاقتي بنفسي.

كيف للشخص أن يوطد العلاقة مع نفسه؟

أليس من المفروض أن يكون التقييم من شخص آخر يستطيع رؤية هذه النفس من خارجها ويكون تقييمه لها بدون تحيز؟

ولكن مهلًا، من هذا الشخص الذي يعرفني أكثر من نفسي لدرجة تجعله جديرًا بتقييمي؟

لا يوجد إلا شخص واحد وهو أنا.

لا أحد يعرفني كما أعرف نفسي؟ وتذكرت قول الله تعالى:

((بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ))

احترت في طريقة تقييمي لنفسي محاولًا أن أكون محايدًا ومستقلًا عنها، ووصلت إلى أنّ أفضل وسيلة لتقييم نفسي هي أن أطرح أسئلة واضحة ومُحددة ويمُكن الإلمام بجوانب الإجابة عليها من كُل وجه. وعزمت أمري على استخدام هذه الطريقة حتى أستطيع تقييم طبيعة علاقتي بنفسي ومعرفة مكامن الخلل فيها والبدء في تصويبها. وأحضرت كراسة يومياتي وبدأت بكتابة الأسئلة.

السؤال الأول: لماذا أخفقت في علاقات كثيرة في حياتي؟

فعلا كان هذا الأمر الذي يجول في خاطري ولكني لم أملك الجرأة الكافية لسؤال نفسي هذا السؤال بشكل مباشر. هل السبب خوفي من الإجابة أو خجلي منها؟ الصراحة لا أعلم ولكن ما أعلمه أنه يتوجب عليّ الآن الإجابة على هذا السؤال حتى أتمكن من قياس ذلك والاستفادة منه في تقييم علاقتي بنفسي، وتلافي أخطائي السابقة.

أظن أن السبب هو رفضي لفكرة الإخفاق وعدم تقبله. وأعتقد أن الخلل يكمن هنا، فنحن بشر ولسنا ملائكة، والخطأ وعدم التوفيق في بعض الأمور هو سنّة من سنن الحياة. وتذكرت الحديث النبوي الشريف الذي قال فيه المصطفى عليه وعلى آله الصلاة والسلام:

"لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين"

وبالتالي ليست المشكلة في الخطأ ولكن المشكلة من تكرار ذات الخطأ. يجب عليّ أن أُقر بأنني أخطأت وأسأت التصرف مرات عدة ولكن بسبب تلك الأخطاء أصبحت أعرف ما هو الصواب. نعم يجب عليّ أن لا أقسو على نفسي، وأن لا أجلد ذاتي، وأن أتقبل الأخطاء التي أرتكبها وأن أحاول جاهدًا عدم تكرار تلك الأخطاء، وأن أتعلم من الدروس المستفادة منها. ويجب عليَّ أن أتريث في تقييم الأشخاص، وأن أخضعهم لعدة اختبارات حتى يتسنَّى ليّ الحكم عليهم بشكل دقيق.

السؤال الثاني: هل يوجد شيء يجب عليّ تغييره؟

ربما من الأمور التي يجب عليّ تغيرها في أقرب فرصة هو نظامي اليومي. وأقصد بذلك الاهتمام بمختلف الجوانب الحياتية في يومي؛ لأنني أدركت في فترة العزلة أني أهتم كثيرًا بالجانب العملي وأهمل الجانب

الترفيهي والاجتماعي والروحي لدي. وهذا الشيء يؤثر بشكل مباشر على صحتي النفسية والجسدية. فأنا لا أنام جيدًا بسبب كثرة التفكير وشرب المنبهات طوال الوقت. ولا أمارس أي نوع من أنواع الرياضة. ناهيك عن حبي للمأكولات السريعة والحلويات الشرقية والغربية والشمالية والجنوبية. فعلًا يجب أن أضع نظام غذائي وألتزم به وممارسة الرياضة بشكل يومي وإلا ستكون بعض الأمراض المزمنة رفيقة لي خلال أعوامي القادمة.

السؤال الثالث: هل أنا راضي وسعيد؟

قد يكون هذا السؤال هو من أهم الأسئلة التي طرحتها على نفسي، والتفكير فيه يجعلني أرغب في مراجعة وتقييم أهم علاقة في جميع العلاقات التي يمكن لأي إنسان التفكير فيها. علاقة إن صلُحت، صَلُحت باقي العلاقات وإن فسدت فعلى الدنيا السلام. وهي العلاقة التي ستكون العلاقة السابعة والأخيرة التي سأقوم بمراجعتها خلال فترة العزلة هذه.

العلاقة السابعة والأخيرة

"إلهي، ما أحببتك وحدي لكن أحببتك وحدك"

ابن عربي

أول ما خطر في بالي أمر علاقة الإنسان بربه تذكرت قوله سبحانه وتعالى في سورة البقرة :((وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ))

هذه الآية تجعلني أشعر براحة وطمأنينة ولا يمكن لي وصفهما؛ لأني أشعر أنه مهما كنت مقصرًا في حق المولى عز وجل بعيدًا عنه، فإنه يمكن لي تدارك الأمر طالما كان في العمر بقية.

مقتنع تمامًا أنّ الرضا والسعادة لا يمكن الحصول عليهما دون علاقة قوية بملك الملوك؛ لأنهما من الأمور المتعلقة بالروح أكثر من الجسد. والروح أمرها بيد خالقها وحده جل جلاله وليس لشيء سلطان عليها سوى الواحد الأحد، ومع هذا أعلم أني مقصر كثيرًا في هذا الجانب.

ولكن حقًا، كيف هي علاقتي مع الله عز وجل؟ وهل العبادات التي أقوم بها هي مجرد طقوس تفتقر للخشوع والطمأنينة أم لا؟ هل هي مبنيّة على الخوف أم على الحب؟ هل استحضر مراقبة الله لي في كل أموري؟ هل أنا شاكر لأنعم الله؟ هل أطبق تعاليم الدين السمحة بيقين؟ هل أحب لأخي ما أحبه لنفسي حتى أصل لدرجة الإيمان؟

فوجدت أني أُصلي دون أن أكون حريصًا على أوقات الصلوات، ووجدت أني أقرأ القرآن الكريم ولكن فقط في رمضان، ووجدت أني آخذ بالأسباب دون التوكل الحق على المُسبب، ووجدت أنّ روحي تحتاج إلى كثير من النور والغذاء.

ودخلت وأنا أعدد ذلك كله في لحظات تأمل وتفكير في إبداع صنعة مكوِّن الكون، وفي النعم التي حباني الله بها.

ثم تذكرت مقولة لا أعلم مدى ثبوتها وحجيتها من أحد كبار السن حينما قال لي يومًا: تفكُّر ساعة خير من عبادة سنة. وعقدت العزم على المحافظة على صلواتي في أوقاتها، وعلى قراءة صفحة من القرآن الكريم يوميًا حتى لا أدخل في عموم الذين اتخذوا القرآن مهجورًا، وأن أجلس

نصف ساعة يوميًا واستغرق في التأمل والخلو بالذات والتفكُّر في الله سبحانه وتعالى وملكه.

بعد أن انتهيت من هذه المراجعات انتابني شعورٌ كبيرٌ بالراحة والإنجاز والرضى.

ولم أشعر بنفسي إلا والدموع تتساقط من عيني حبًا لله عز وجل وخجلًا من لطفه وعطفه وجميل صنعه سبحانه وتعالى. الحمد لله الذي ألهمني فعل هذا الأمر وجعل العزلة فرصة ذهبية لي حتى أكتشف نفسي وأتعرف عليها بعد أن أبعدتني مشاغل الحياة عن حقيقتي حتى أصبحت أكاد لا أعرف ذاتي. حقًا إنّ كل ما يحدث لنا هو لسبب وحكمة لا يعلمها إلا علاَّم الغيوب.

أسعد بتلقي انطباعاتكم وملاحظاتكم وما استوقفكم في القصة من خلال موقع Goodreads

https://www.goodreads.com/book/show/54575045